حُماة الفضيلة .. وحِلف الرذيلة

طبيعة الصراع

صراع لا يفتر، وتسامٍ وهبوط، ومواقف متباينة بين الحق وأهله، والباطل وأهله.. ومظاهر وسمات تطّرد وتلزم كل فريق فتعرفهم بسيماهم..

سنة التدافع

الحمدلله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه..

أما بعد:

فقد أراد الله عز وجل بعلمه وحكمته البالغة أن يوجد الصراع بين الحق والباطل لتمضي سنة الابتلاء والمدافعة بين الفريقين فيهلك من هلك عن بينة ويحي من حي عن بينة.

قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحج:40).

كما اقتضت حكمته سبحانه أن تكون الغلبة في نهاية الأمر للحق وأهله وأن مكر أهل الباطل يرجع عليهم قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (الأنعام:123) وقال سبحانه: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ (الأنبياء:18)..

وقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ (سبأ:48.49) وقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ۚ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ (الرعد:17).

وإن الناظر في واقعنا المعاصر يرى هذه السنة ـ أعني سنة الصراع بين الحق والباطل وبين الفضيلة والرذيلة واضحة جلية بل إنها تزداد شدة وضراوة مع مرور الزمن ولكن العاقبة للمتقين.

موقف مجتمعات المسلمين من هذا الصراع

وقد انقسمت مجتمعات المسلمين اليوم في هذا الصراع إلى ثلاث فئات:

الفئة الأولى: الفئة المصلحة

وهي الداعية إلى الخير والفضيلة .. وهم أشراف المجتمعات وأحسنهم قولاً وأثراً في الناس، وأنبلهم غاية وأسماهم هدفاً.

وهؤلاء هم صمام الأمان بإذن الله تعالى لمجتمعاتهم من خطر وشؤم حلف الرذيلة الذي يهدد الأمة بعقاب الله عز وجل في الدنيا والآخرة.

وهؤلاء هم الذين عناهم الله عز وجل بقوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (فصلت:33)، وقوله: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران:104).

وهم الذين يعملون بكل فضيلة في العقيدة والأخلاق والعبادة، ويدعون إليها.

ويمثلهم اليوم كل الدعاة والجماعات الإسلامية وشباب الصحوة الذين يدعون إلى الفضيلة والتوحيد والطهر والعفاف ويحاربون الرذيلة بجميع صورها وهم الذين عناهم الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: «ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة، لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم، حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى».(1)

الفئة الثانية: الفئة المفسدة

وهي الداعية إلى الشر والرذيلة..

هم سفلة المجتمعات، وهم أرذال الناس لأنهم خانوا ربهم وخانوا أمتهم وظلموها ونشروا فيها كل رذيلة في المعتقد أو السلوك أو الأخلاق وشنوا حربهم على حُماة الفضيلة وعرضوا الناس للشقاء والنكد في الدنيا والعذاب الأليم في الآخرة.

وهؤلاء هم الذين عناهم الله عز وجل في كتابه الكريم بقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (الأنعام:123) وهم المعنيون بقوله تعالى: ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ (النساء:27).

وهم الذين يشكلون مع أوليائهم من كفرة الغرب والشرق حلفاً عالمياً هو (حلف الرذيلة) يحاربون فيه حماة الفضيلة. ويمثلهم اليوم الطغاة المستبدون والعلمانيون وأهل العفن الفني والإعلاميون الهابطون وعصابات الدعارة والخمور والمخدرات وغيرهم.

الفئة الثالثة: الفئة بين الفئتين

وهم الذين لم يرتفعوا في معتقداتهم وأخلاقهم إلى مستوى حماة الفضيلة ولم يهبطوا إلى مستوى أهل الرذيلة؛ وإنما هم فئة بين الفئتين ولديهم الاستعداد للخير الذي تدعو إليه الفئة الأولى، كما أن لديهم الاستعداد لتلقي الشر والإفساد التي تسعى إليه الفئة الثانية.

وكلا الفئتين تتسابقان للتأثير على هذه الفئة، وهذا يؤكد أهمية الدعوة، وقطع الطريق على الفئة المفسدة حتى لا ينحرف الناس عن الصراط المستقيم.

والملاحظ في هذه الفئة أنها السواد الأعظم من الناس بينما يغلب على الفئة الأولى والثانية أنهما قلة.

والمدافعة بين حماة الفضيلة وحلف الرذيلة من سنن الله عز وجل حيث الصراع بين الحق والباطل قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (البقرة:251).

حرب أهل الرذيلة لأهل الفضيلة

يصف الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله تعالى جانباً من الحرب التي يشنها حلف الرذيلة على الفضيلة وذلك في مقدمة كتابه الماتع (حراسة الفضيلة) فيقول:

فهذه رسالة نُخرجها للناس لِتَثْبيتِ نساء المؤمنين على الفضيلة، وكشف دعاوى المستغربين إلى الرذيلة، إذ حياة المسلمين المتمسكين بدينهم اليوم، المبنية على إقامة العبودية لله تعالى، وعلى الطهر والعفاف، والحياء، والغيرة، حياة محفوفة بالأخطار من كل جانب..

بجلب أمراض الشبهات في الاعتقادات والعبادات، وأمراض الشهوات في السلوك والاجتماعيات، وتعميقها في حياة المسلمين في أسوأ مخطط مسخر لحرب الإسلام، وأسوأ مؤامرة على الأمة الإسلامية.

تبناها: «النظام العالمي الجديد» في إطار نظرية الخلط بين الحق والباطل، والمعروف والمنكر، والصالح والطالح، والسنة والبدعة، والسني والبدعي، والقرآن والكتب المنسوخة المحرفة كالتوراة والإنجيل، والمسجد والكنيسة، والمسلم والكافر، ووحدة الأديان.

ونظرية الخلط هذه أنكى مكيدة، لتذويب الدِّين في نفوس المؤمنين، وتحويل جماعة المسلمين إلى سائمة تُسَام، وقطيع مهزوز اعتقادُه، غارق في شهواته، مستغرق في ملذّاته، متبلد في إحساسه، لا يعرف معروفًا ولا يُنكر منكرًا، حتى ينقلب منهم من غلبت عليه الشقاوة على عقبيه خاسرًا، ويرتد منهم من يرتد عن دينه بالتدريج.

كل هذا يجري باقتحام الولاء والبراء، وتَسريب الحب والبغض في الله، وإلجام الأقلام، وكفّ الألسنة عن قول كلمة الحق، وصناعة الاتهامات لمن بقيت عنده بقية من خير، ورميه بلباس: الإرهاب والتطرف والغلو والرجعية، إلى آخر ألقاب الذين كفروا للذين أسلموا، والذين استغربوا للذين آمنوا وثبتوا، والذين غلبوا على أمرهم للذين استُضعفوا.(2)

موضوع الصراع

وقبل الدخول في تفاصيل المعركة المحتدمة اليوم بين حلف الرذيلة وسمات كل حلف أسوق ثلاث آيات كريمات من كتاب الله عز وجل يبين لنا فيها ربنا سبحانه صفات كل فريق وفي أي شيء يختصمون:

الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۖ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ۖ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (البقرة:221)

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ * يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ * مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ * وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ * تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ﴾ (غافر:38-42)

ففي هاتين الآيتين يبين لنا سبحانه حكمه بين الفريقين وأنه لا يستوي فريق الفضيلة الداعي الى توحيد الله عز وجل وعبادته وحده لا شريك له وما يترتب على ذلك من الفضائل العظيمة في الفهم والسلوك، لا يستوي هو ومن يدعوا الى الشرك وتعبيد الناس لمخلوق مثلهم وما يترتب على ذلك من الرذائل في الفهم والسلوك.

الآية الثالثة:قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ (النساء:27).

قال ابن جرير رحمه الله تعالى عند هذه الآية:

معنى ذلك: ويريد الذين يتبعون شهوات أنفسهم من أهل الباطل وطلاب الزنى ونكاح الأخوات من الآباء، وغير ذلك مما حرم الله (أن تميلوا) عن الحق، وعما أذن الله لكم فيه، فتجوروا عن طاعته إلى معصيته، وتكونوا أمثالهم في اتباع شهوات أنفسكم فيما حرم الله وترك طاعته (ميلاً عظيماً).

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب؛ لأن الله عز وجل عم بقوله:﴿ويريد الذين يتبعون الشهوات﴾ فوصفهم باتباع شهوات أنفسهم المذمومة، وعمهم بوصفهم بذلك من غير وصفهم باتباع بعض الشهوات المذمومة، فإذا كان ذلك كذلك، فأولى المعاني بالآية ما دل عليه ظاهرها، دون باطنها الذي لا شاهد عليه من أصل أو قياس..

وإذا كان ذلك كذلك كان داخلاً في الذين يتبعون الشهوات: اليهود، والنصارى، والزناة، وكل متبع باطلاً لأن كل متبع ما نهاه الله عنه متبع شهوة نفسه.

فإذا كان ذلك بتأويل الآية الأولى، وجبت صحة ما اخترنا من القول في تأول ذلك.(3)

أصحاب راية وليسوا أصحاب شهوة عابرة

ويقول سيد قطب رحمه الله تعالى أيضاً عند هذه الآية:

تكشف الآية الواحدة القصيرة عن حقيقة ما يريده الله للناس بمنهجه وطريقته، وحقيقة ما يريده بهم الذين يتبعون الشهوات، ويحيدون عن منهج الله ـ وكل من يحيد عن منهج الله إنما يتبع الشهوات..

فليس هنالك إلا منهج واحد هو الجد والاستقامة والالتزام، وكل ما عداه إن هو إلا هوى يُتبع، وشهوة تُطاع ، وانحراف وفسوق وضلال! فماذا يريد الله بالناس، حين يبين لهم منهجه، ويشرع لهم سنته؟ إنه يريد أن يتوب عليهم.

يريد أن يهديهم، يريد أن يجنبهم المزالق. يريد أن يعينهم على التسامي في المرتقى الصاعد إلى القمة السامقة.

وماذا يريد الذين يتبعون الشهوات، ويزينون للناس منابع ومذاهب لم يأذن بها الله، ولم يشرعها لعباده؟

إنهم يريدن لهم أن يميلوا ميلاً عظيماً عن المنهج الراشد، والمرتقى الصاعد والطريق المستقيم.

وفي هذا الميدان الخاص الذي تواجهه الآيات السابقة: ميدان تنظيم الأسرة؛ وتطهير المجتمع؛ وتحديد الصورة النظيفة الوحيدة، التي يحب الله أن يلتقي عليها الرجال والنساء؛ وتحريم ما عداها من الصور، وتبشيعها وتقبيحها في القلوب والعيون..

في هذا الميدان الخاص ما الذي يريده الله وما الذي يريده الذين يتبعون الشهوات؟

فأما ما يريده الله فقد بينته الآيات السابقة في السورة. وفيها إرادة التنظيم، وإرادة التطهير، وإرادة التيسير، وإرادة الخير بالجماعة المسلمة على كل حال.

وأما ما يريده الذين يتبعون الشهوات فهو أن يطلقوا الغرائز من كل عقال: ديني، أو أخلاقي أو اجتماعي، يريدون أن ينطلق السعار الجنسي المحموم بلا حاجز ولا كابح، من أي لون كان.

السعار المحموم الذي لا يقر معه قلب، ولا يسكن معه عصب، ولا يطمئن معه بيت، ولا يسلم معه عرض، ولا تقوم معه أسرة.

يريدون أن يعود الآدميون قطعاناً من البهائم، ينزو فيها الذكران على الإناث بلا ضابط إلا ضابط القوة أو الحيلة أو مطلق الوسيلة! كل هذا الدمار، وكل هذا الفساد، وكل هذا الشر باسم الحرية، وهي ـ في هذا الوضع ـ ليست سوى اسم آخر للشهوة والنزوة!

وهذا هو الميل العظيم الذي يحذر الله المؤمنين إياه، وهو يحذرهم ما يريده لهم الذين يتبعون الشهوات...

الالتزام بمنهج الله ليس شاقا

ويقول رحمه الله:

وكثيرون يحسبون أن التقيد بمنهج الله وبخاصة في علاقات الجنسين شاق مجهد، والانطلاق مع الذين يتبعون الشهوات ميسَّر مريح..

وهذا وهْم كبير والنظر إلى الواقع في حياة المجتمعات التي (تحررت) من قيود الدين والأخلاق والحياء في هذه العلاقة، يكفي لإلقاء الرعب في القلوب، لو كانت هنالك قلوب!

لقد كانت فوضى العلاقات الجنسية هي المعول الأول الذي حطم الحضارات القديمة، وحطم الحضارة الإغريقية، وحطم الحضارة الرومانية، وحطم الحضارة الفارسية..

وهذه الفوضى ذاتها هي التي أخذت تحطم الحضارة الغربية الراهنة وقد ظهرت آثار التحطيم شبه كاملة في انهيارات فرنسا التي سبقت في هذه الفوضى وبدأت هذه الآثار تظهر في أمريكا والسويد وانجلترا، وغيرها من دول الحضارة الحديثة

وقد ظهرت آثار هذه الفوضى في فرنسا مبكرة، مما جعلها تركع على أقدامها في كل حرب خاضتها منذ سنة 1870 إلى اليوم، وهي في طريقها إلى الانهيار التام، كما تدل جميع الشواهد...

علامات الانهيار الاجتماعي

ويقول:

يقول طبيب فرنسي نطاسي يدعى الدكتور" ليريه: إنه يموت في فرنسا ثلاثون ألف نسمة بالزهري، وما يتبعه من الأمراض الكثيرة في كل سنة. وهذا المرض هو أفتك الأمراض بالأمة الفرنسية بعد حمى الدق.

والأمة الفرنسية يتناقص تعدادها بشكل خطير: ذلك أن سهولة تلبية الميل الجنسي، وفوضى العلاقات الجنسية والتخلص من الأجنة والمواليد، لا تدع مجالاً لتكوين الأسرة، ولا لاستقرارها ولا لاحتمال تبعة الأطفال الذين يولدون من الالتقاء الجنسي العابر.

ومن ثم يقِلّ الزواج، ويقل التناسل، وتتدحرج فرنسا منحدرة إلى الهاوية

نُذر هلاك النسل

ويقول بعد عرض حال الأمة في السويد ونذر الهلاك للأسرة والنشء:

والحال في أمريكا لا تقل عن هذه الحال. ونذر السوء تتوالى والأمة الأمريكية في عنفوانها لا تتلفت للنُذُر.

ولكن عوامل التدمير تعمل في كيانها، على الرغم من هذا الرواء الظاهري وتعمل بسرعة مما يشي بسرعة الدمار الداخلي على الرغم من كل الظواهر الخارجية!!!

ولقد وجد الذين يبيعون أسرار أمريكا وبريطانيا العسكرية لأعدائهم، لا لأنهم في حاجة إلى المال. ولكن لأن بهم شذوذاً جنسياً، ناشئاً من آثار الفوضى الجنسية السائدة في المجتمع...

عوامل شيطانية

ثم يقول..

وقد كتبت إحدى المجلات الأمريكية منذ أكثر من ربع قرن تقول:

"عوامل شيطانية ثلاثة يحيط ثالوثها بدنيانا اليوم. وهي جميعها في تسعير سعير لأهل الأرض..

أولها: الأدب الفاحش الخليع الذي لا يفتأ يزداد في وقاحة ورواجه بعد الحرب العالمية الأولى بسرعة عجيبة.

والثاني: الأفلام السينمائية التي لا تذكي في الناس عواطف الحب الشهواني فحسب، بل تلقنهم دروساً عملية في بابه.

والثالث: انحطاط المستوى الخلقي في عامة النساء، الذي يظهر في ملابسهن، بل في عريهن، وفي إكثارهن من التدخين، واختلاطهن بالرجال بلا قيد ولا التزام..

هذه المفاسد الثلاث فينا إلى الزيادة والانتشار بتوالي الأيام ولابد أن يكون مآلها زوال الحضارة والاجتماع النصرانيين وفناءهما آخر الأمر.

فإن نحن لم نحد من طغيانها، فلا جرم أن يأتي تاريخنا مشابهاً لتاريخ الرومان، ومن تبعهم من سائر الأمم، الذين قد أوردهم هذا الاتباع للأهواء والشهوات موارد الهلكة والفناء، مع ما كانوا فيه من خمر ونساء، أو مشاغل رقص ولهو وغناء"

والذي حدث أن أمريكا لم تحد من طغيان هذه العوامل الثلاثة، بل استسلمت لها تماماً وهي تمضي في الطريق الذي سار فيه الرومان...!

تكلفة باهظة

ثم يقول:

هذا طرف مما تتكلفه البشرية الضالة، في جاهليتها الحديثة، من جراء طاعتها للذين يتبعون الشهوات ولا يريدون أن يفيئو إلى منهج الله للحياة.

المنهج الملحوظ فيه اليسر والتخفيف على الإنسان الضعيف وصيانته من نزواته، وحمايته من شهواته، وهدايته إلى الطريق الآمن، والوصول به إلى التوبة والصلاح والطهارة:

﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾ (النساء: 27 – 28)(4)

علاقة الفضائل بالعقيدة

علاقة الفضائل الخلقية بالموقف العقدي

وبعد أن وقفنا عند هذه الآية الكريمة وما تضمنته من البيان الرباني لخطر الرذيلة وحماتها الذين يتبعون الشهوات وما يقومون به من إفساد الناس والميل بهم عن منهج الله عز وجل ميلاً عظيما..

بعد هذا البيان الإجمالي نأتي إلى البيان المفصل في الحكم بين حماة الفضيلة وحلف الرذيلة وأثر كل فريق على الدين والعقل والنفس والعرض والمال..

هذه الضروريات التي جاء الإسلام لحفظها وحمايتها، وذلك حتي يتبين لنا أي الفريقين أهدى سبيلاً وأيهما أحق بالولاء والمحبة والنصرة والشرف والكرامة والأمن والسلام، ولكي يتميز الخبيث المحارب للفضيلة الحامي للرذيلة من الطيب الحامي للفضيلة المحارب للرذيلة وذلك حسب مايلي:

حماة الفضيلة وأمن الدين؛ عقيدة وشريعة

حماة الفضيلة يرون أن رأس الفضائل كلها عبادة الله عز وجل وتوحيده سبحانه لا شريك له والبراءة من الشرك وأهله والنفاق وأهله، وعلى ذلك يعقدون ولاءهم ومحبتهم ونصرتهم كما يعقدون عليها معاداتهم وبغضهم وبراءتهم..

ممتثلين قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (المائدة:55 – 56)

وقوله تعالى: ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْعَشِيرَتَهُمْ﴾(المجادلة:22) يقومون بذلك علماً وعملاً ودعوة وتعلّماً لإخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد.

وفي الشريعة والأحكام يعتقدون أن الحكم والتشريع لله وحده لا شريك له فلا حكم إلا لله، الحلال ما أحل والحرام ما حرم، وبناء على ذلك يرفضون كل حكم وكل قانون يخالف حكمه وشرعه سبحانه.

ويرون أن ذلك من صميم العقيدة والعبودية ومن أركان الإيمان الذي لا يصح إلا به؛ فكما أنه سبحانه لا شريك له في توحيده وعبادته فهو كذلك لا شريك له في حكمه وشرعه؛ فالذي قال في كتابه الكريم ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (الكهف:110) هو الذي قال ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ (الكهف:26).

وبناء على هذه العقيدة فإن حماة الفضيلة يتعبدون لربهم سبحانه بالحكم بما أنزله سبحانه والتحاكم إليه والتسليم لأوامره الدينية والقدرية.

يعتقدون ذلك في أنفسهم، ويدعون الناس إلى ذلك ويرفضون كل حكم يخالف حكم الله عز وجل.

ولذلك تراهم من أطهر الناس عقيدة وعبادة وأزكاهم خلقاً وسلوكاً ونفعاً وإحساناً إلى الآخرين، وهذا لا يعني أنهم لا يخطئون ولا يذنبون بل هم بشر يخطئ ويصيب ولكنهم إذا أخطؤوا عن ضعف يمر بأحدهم فإنه لا يصرّ بل يبادر إلى التوبة ويقلع عن الذنب ويخاف من ربه لاعتقاده أنه فعل فعلاً محرماً يخشى أن يعاقبه الله عليه.

هذا لون، وما يفعله المجاهرون المصرون المعترضون على شرع الله عز وجل لون آخر.

هذا مجمل ما عليه حماة الفضيلة من العقيدة والسلوك الذي يدعون إليه ويقومون به في أنفسهم ومن أجله يشن حلف الرذيلة حرباً لا هوادة فيها عليهم.

حلف الرذيلة وأمن العقيدة والشريعة

إن المتأمل لمنهج هذا الحلف المشؤوم ورموزه لا يجد عناءً في الوصول إلى قناعات راسخة بعداوة هذا الحلف المرذول لكل فضيلة دعا إليها الإسلام الذي هو دين الرسل جميعاً سواء في العقيدة أو الشريعة والأحكام والأخلاق التي تتفق مع العقول والفطر السليمة؛ ولذلك فهم العدو الحقيقي للمجتمعات المسلمة بل للبشرية جمعاء.

الخلل العقدي يقود الى الخلل الخلقي

وأسوق فيما يلي بعض الأمثلة والأدلة التي تثبت عداوة هذا الحلف المَهين لكل فضيلة في العقيدة والشريعة

أولاً في العقيدة

يشن (حلف الرذيلة) بجميع مكوناته من الكفار والمنافقين حرباً شعواء على رأس الفضيلة وأسّها: عقيدة التوحيد الطاهرة المطهرة، التي التي تخلص الإنسان وتحذره من أن يكون عبداً لمخلوق مثله إلى أن يكون عبداً لله وحده لا شريك له يوالي فيه ويعادي فيه، يشنون حربهم هذه على الدين بعد ما انسلخوا منه وودوا لو يكفر الناس كما كفروا، ويظهر هذا في فلسفتهم للحرية وأنها تشمل كل شيء؛ حرية العقيدة والتدين، وحرية الأخلاق والسلوك الشخصي، وحرية الاقتصاد.. الخ.

الانسلاخ من التوحيد

والنتيجة التي يريدها حلف الرذيلة هو إخراج الناس من عبادة الله عز وجل إلى عبادة أصنامٍ متعددة تتمثل في طاغوت أو نظام أو برلمان أو حجر أو بقر أو هوى متبع أو أي شيء سوى الله عز وجل..

ولذا نراهم يشجعون بعض الطوائف المشركة المنتسبة إلى الإسلام التي انسلخت من التوحيد وعبادة الله وحده كغلاة الصوفية والفرق الباطنة وكل صاحب هوى وشهوة يرى فصل الدين عن الحياة وترك الناس يفعلون في معتقداتهم وأموالهم وسياساتهم ماشاءوا.. تماماً كما قال ذلك المشركون

الأولون لأنبيائهم ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾(هود:87).

تولي بعضهم بعضا

وبناء على هذه الرذيلة الكبرى في العقيدة كانت مواقف (حلف الرذيلة) من الكفار في الغرب والشرق حيث ظاهروهم وتحالفوا معهم في محاربة الفضيلة وأهلها بكل ما يستطيعون من أفكار وأموال وجواسيس وإعلام وغير ذلك وصاروا كما قال الله عز وجل عن سلفهم ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (الحشر:11).

وهكذا فإن الشر يولّد الشر، والرذيلة تولد رذيلة أخرى.

جراءة محاربتهم للتوحيد

ومن الرذائل التي نتجت عن محاربتهم لفضيلة التوحيد والولاء والبراء هجومهم على شريعة فاطر السموات والأرض ورميهم لها بعدم مواءمتها وصلاحها لتسيير حياة الناس في زماننا اليوم ﴿كبرت كلمة تخرج من أفواههم﴾.

وأصبحنا نسمع أصواتاً كفحيح الأفاعي بعضها يدعوا إلى حصر الدين في المسجد دون أن يكون له أثر في حياة الناس السياسية والاقتصادية والاجتماعية فلهذه المجالات من حياة الناس نظماً وقوانين تناسبها؟!!

وبعضها يطالب بصياغة جديدة للدين وأصوله وأحكامه باسم التجديد والعصرنة والحداثة!

وتجرأ بعض هؤلاء الأراذل من حلف الرذيلة بالاعتراض على كلام الله عز وجل فاطر السموات والأرض العليم الحكيم القاهر فوق عباده، وكأنهم يناقشون ويعترضون على مخلوق مثلهم! تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا.

رذائل الأخلاق المترتبة على محاربة التوحيد

وهذه الرذائل العظيمة في التوحيد والتشريع أدت إلى رذائل في الأخلاق والسلوك والأعراض تترفع عنها الفطر السليمة بل تنكرها الحيوانات العجماوات ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ومعلوم أنه إذا فسدت العقيدة فسدت الأخلاق والأعمال ولكل مسلم أن يتصور ما تكون عليه المجتمعات لو سادت فيها شريعة حلف الرذيلة؛ إنها والله مأساة عظيمة وطامة كبرى ولكن الله عز وجل رحمته ولطفه وبره وإحسانه وعزته وحكمته يأبى إلا أن يبعث لهؤلاء الأراذل من يجاهدهم ويفضحهم ويرد كيدهم ورذائلهم والله من ورائهم محيط.

ولكي يتبين لكل عاقل عظم الجناية وعظم الكارثة التي منيت بها المجتمعات التي يتحكم فيها أهل الرذيلة من طواغيت وحكام مستبدين وبطانات منافقة وأرباب إعلام داعر رذيل، أذكر جناياتهم وثمار دعواتهم العلقمية التي أفسدت الأخلاق والأموال والعقول والأعراض، وهي غيض من فيض مما تعانيه هذه المجتمعات المنحلة التي تحكمها شريعة الغاب بل شريعة الغاب أفضل منها ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (الفرقان:44)

صرخات ناصحين

وأقدم لذلك بما قاله وكتبه بعض الناصحين من حماة الفضيلة على سبيل النذارة والتحذير من جنايات القوم.. يقول سيد قطب رحمه الله تعالى:

"إن البشرية اليوم تعيش في ماخور كبير! ونظرة إلى صحافتها، وأفلامها، ومعارض أزيائها، ومسابقات جمالها، ومراقصها، وحاناتها، وإذاعاتها، ونظرة إلى سعارها المجنون للحم العاري، والأوضاع المثيرة، والإيحاءات المريضة، في الأدب والفن وأجهزة والإعلام كلها...

نظرة إلى هذا تكفي للحكم على المصير البائس الذي تدلف إليه البشرية في ظل هذه الجاهلية،إن البشرية تتآكل إنسانيتها، وتتحلل آدميتها،وهي تلهث وراء الحيوان، لتلحق بعالمه الهابط.."(5)

ويقول في موطن آخر:

"وكثيرون يحسبون أن التقيد بمنهج الله، وبخاصة في علاقات الجنسين، شاق مجهد، والانطلاق مع الذين يتبعون الشهوات ميسر مريح ! وهذا وهم كبير.. فإطلاق الشهوات من كل قيد، والتجرد في علاقات الجنسين من كل قيد أخلاقي..

إن هذه تبدو يسراً وراحة وانطلاقاً ، ولكنها في حقيقتها مشقة وجهد وثقلة، وعقابيلها في حياة المجتمع عقابيل مؤذية مدمرة ماحقة.

والنظر يكفي لإلقاء الرعب في القلوب، لو كانت هنالك قلوب!

لقد كانت فوضى العلاقات الجنسية هي المعول الأول الذي حطم الحضارات القديمة، وحطّم الحضارات الإغريقية، وحطم الحضارة الرومانية، وحطم الحضارة الفارسية، وهذه الفوضى ذاتها هي التي أخذت تحطم الحضارة الغربية الراهنة".(6)

الجناية على البشرية وعلى الحياة

من هذا الكلام الذي نحسبه خرج من قلب ناصح محترق على واقع المسلمين نستطيع القول بأن من أعظم جنايات حلف الرذيلة على المسلمين وعلى البشرية جمعاء بعد إفساد عقائدها هو:

إفساد أعراضهم وأنسابهم وأخلاقهم بالتفلت من قيود الدين والحياء والفطرة وجعل الناس يعيشون كالبهائم.

وجناية أخرى من جنايات أهل الرذيلة ألا وهي الحياة التعيسة النكدة التي يعيشها أهل الشهوات وإن رأو فيها لذة وراحة في البداية فلا تلبث أن تتحول إلى شقاء وقلق وريب وتعاسة.

ومن أعظم جنايات هذا الحلف الرذيل على الأمة أن يحوّل أبناء المسلمين الذين استجابوا لهم إلى عبيد لشهواتهم وأهوائهم قد أعطوا زمامهم لأرباب الرذيلة يستعبدونهم ويقلدونهم في كل شيء، ولا تسأل حينئذ عن حال الأمة المستعبدة فإن العبيد لا يصنعون حضارة إنها تصبح لقمة سائغة لأعدائها لا تملك مقاومة ولا جهاداً بل إنها تنهار وتخور بأدنى غزو من الكفار.

ونظرة إلى الدولة الرومانية والفارسية والاغريقية، وحديثاً الفرنسية، كيف تحطمت حينما انتشر فيها الخنا والسكر والجنس والفواحش.

ونظرة إلى سقوط دولة الإسلام في الأندلس لما شاعت فيها الفواحش والرذائل تحكّم فيها أعداؤها وساموهم سوء العذاب.

ومن أعظم جنايات حلف الرذيلة على مجتمعات المسلمين بل على البشرية جمعاء إضعاف الغيرة أو انعدامها.

الغيرة التي هي مركوزة في الفطر السليمة بل إنها غريزة عند كثير من الحيوانات ولكن الممسوخين من أهل الرذيلة ودعاتها يريدون عالماً أخس من الحيوانات وأضل.

مظاهر ضعف الغيرة، وثماره البشعة

لقد كانت الغيرة وقوتها مما يتفاخر به المشركون في الجاهلية حيث لا دين ولا عقيدة؛ فكيف أصبحت اليوم بهذا الضعف والوهن عندما انتشرت الرذيلة والفواحش في كثير من المجتمعات..؟!

ولكي نرى ما أصاب الغيرة من ضعف شديد في كثير من مجتمعات المسلمين بفعل انتشار الرذائل حتى ألِفتها كثير من النفوس أذْكر بعضها مما حل في كثير من مجتمعات المسلمين من وهن الغيرة أو انعدامها «باختصار وتصرف يسير من مقالة: (عندما تموت الغيرة) للأستاذ: احمد بن على العنسي» حيث يقول:

ضعف الغيرة في ملابس الأهل

عندما تضعف الغيرة ترى الرجل يسمح لمحارمه أمام الرجال الأجانب أن يلبسن الملابس الضيقة والقصيرة، والخفيفة التي تُظهر ما تحتها، مثل البنطلون وغير ذلك من ملابس التبرج..

وإن وُجد لديه شيء من الحياء فإنه يلزمهن بلبس العباءة، لكن هل هذه العباءة حجاب؟

لا، ليست عباءة التبرجِ والفتنةِ بحجاب، وقد زينت من الأمام، وزخرفت لها الأكمام، وضيقت من الأعلى، ووسعت من الأسفل، وصنعت بألوان وأشكال مختلفة، حتى زادت من جمال المرأة، وزادت الفتنة بها، فلو لبستها امرأة قبيحة الشكل لظن الرجل أنها ملكة الجمال لتزيين العباءة لها..

وهذا الرجل يظن أنه قد عمل ما عليه من إلزام أهله بالحجاب المشروع، ولا يعلم أنه بعمله هذا قد خالف الشرع، وضيع أهله.

ضعف الغيرة في ترك الحجاب

عندما تموت الغيرة أو تضعف يسمح الرجل لزوجته وبناته عند ذهابهم إلى بعض البلاد التي لا تلتزم بالحجاب الشرعي، للعلاج أو السياحة أو غيرها، بترك الحجاب والتشبه بأهل تلكم البلاد، بل قد يأمرهن بذلك والعياذ بالله، حتى لا يُنظَر إليه وإلى أهله بأنهم جهلة وغير مثقفين.

ضعف الغيرة في السفر بلا محرم

عندما تموت الغيرة يسمح الرجل لزوجته، أو ابنته بالسفر للدراسة وغيرها دون محرم، سواء إلى بلاد إسلامية أو بلاد الكفر..

بل تجده يسعى لسفرها ويأتي بالوساطات، ويدفع الأموال لتُمنح زوجته أو ابنته أو أخته منحة دراسية إلى إحدى الدول، ويفتخر بذلك أمام الناس أن إحدى نسائه حصلت على منحة إلى الخارج، فتذهب تقضي عدة أشهر، أو عدة سنوات بمفردها.

ولم يعلم هذا الرجل الذي قل علمه، وضعفت غيرته أن سفر المرأة بلا محرم من الرجال لا يجوز كما ثبتت بذلك الأدلة. فعن أبي سعيد أن النبي صلى الله عليه وسلم: «نهى أن تسافر المرأة مسيرة يومين إلا ومعها زوجها أو ذو محرم»(7).

وعن ابن عباس أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يخطب يقول: «لا يخلوَنَّ رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم، ولا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم، فقام رجل فقال: يا رسول الله! إن امرأتي خرجت حاجَّةً، وإني اكتتبت في غزوة كذا وكذا، قال: فانطلق فَحُجَّ مع امرأتك».(8)

فهذا الرجل كانت امرأته ذاهبة إلى الحج وهو سفر طاعة، وزوجها قد استعد للجهاد، ومع ذلك أمره النبي، صلى الله عليه وسلم، أن يلحق بزوجته.

التكشف عند الطبيب بلا حاجة

عندما تضعف الغيرة يذهب الرجل بأهله إلى طبيب رجل ليكشف عليها، مع وجود الطبيبات؛ وهو ليس مضطراً، وسيكون الكشف على حسب المرض، قد تكشف وجهها، أو صدرها، أو بطنها، بل بعض الرجال يجعل الطبيب يولِّد زوجته، مع أنه لا توجد ضرورة لذلك؛ فهناك طبيبات يقمن بالعمل نفسه الذي يقوم به هذا الطبيب، لكنه موت الغيرة.

ضعف الغيرة في الخلوة بالأجانب

عندما تموت الغيرة يهمل الرجل أهله: من بنت، أو زوجة، أو أخت، أو غيرهن، فيختلين بالأجانب من الرجال.

أماكن مظنة الخلوة

والأماكن التي يحصل فيها الخلوة المحرمة كثيرة منها:

أ – الخلوة في العمل

فكم تقع الخلوة بين الموظفين والموظفات، وهذا مشاهد؛ فبعض المكاتب لا يوجد فيها إلا موظف وموظفة، بل قد تعمل المرأة في الليل، خاصة في المستشفيات المختلطة، سواء كانت طبيبة أو ممرضة، وبحكم العمل فقد تجلس الطبيبة مع الطبيب ساهرين في غرفة واحدة، ينتظران المرضى ليس معهما أحد في الغالب.

أما في أقسام الرقود؛ فهناك غرف خاصة في كل قسم بالممرضة والممرض حتى يتابعا حالة المرضى في الليل، وبالطبع يجلس الرجل مع المرأة بمفردهما يتبادلان الأحاديث الودية بحكم الزمالة، وثالثهما الشيطان، والرجل في بيته يشاهد الفضائيات، أو يغطُّ في نوم عميق، ولا يرى ماذا يعمل أهله.

لا أريد بكلامي هذا أن أطعن في عرض أحد، لكن هذا هو الواقع والغالب في أكثر الوظائف إلا من رحم الله؛ لأن هذا ما يريده لصوص الأعراض وأعداء الفضيلة.

ب – الخلوة مع الطبيب في عيادته

بحيث يسمح الرجل لزوجته أن تذهب إلى الطبيب بمفردها تختلي به في العيادة، بل يصل الأمر في بعض الرجال أن يذهب مع أهله إلى الطبيب، وينتظر في الخارج، وزوجته مع رجل أجنبي في غرفة مغلقة، وقد نبهنا سابقاً أنه لا يجوز أن تذهب المرأة إلى طبيب إلا للضرورة.

ج – الخلوة بالمدرس

وهذا حاصل في الأسر الثرية؛ حين يأتي الرجل لبنته بمدرس خاص لتعليمها بعض المواد، وقد صارت هذه البنت في المرحلة الثانوية أو الجامعية.

وبالطبع لا بد من غرفة خاصة هادئة لا يوجد فيها إلا حضرة الأستاذ وتلميذته، حتى يتمكن المدرس من الشرح وتلميذته من الإصغاء، ويجب أن لا يدخل عليهما أحد، حتى ينتهي الدرس الذي يستغرق ساعة أو ساعتين أو أكثر، والله أعلم ماذا يحصل بالداخل، والأب المفضل في سبات عميق..

مع أن هذا العمل لا يجوز ولو كان المدرس عالماً من العلماء؛ فكيف لو كان المدرس فاسقاً لا دين له، ولا خلق؟ فهذا من باب أَوْلى.

د- خلوة المخطوبة مع خطيبها

وهذا حاصل حتى عند من يدَّعون الغيرة، وهذا لا يجوز شرعاً؛ لأن الخاطب لا زال أجنبياً عن هذه المرأة حتى يعقد عليها، وتصبح زوجته..

كما أنه لا تُؤْمَن عليهما الفتنة والوقوع في الفاحشة؛ فالشيطان حريص على ذلك أعاذنا الله منه.

ولْيعلم كل مسلم ومسلمة أن الخلوة سبب من أسباب الوقوع في فاحشة الزنا؛ لذلك سدت الشريعة هذا الطريق، وأغلقت هذا الباب؛ حفاظاً على الأعراض، وحماية للفضيلة. قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم – : «لا يخلوَنَّ أحدُكم بامرأة إلا مع ذي محرم»(9)، وقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم -: «لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان».(10)

ضعف الغيرة في السماح بالاختلاط

عندما تضعف الغيرة ترى الرجل يتساهل في مسألة اختلاط النساء والرجال، زعماً منه أن هذه عادة أهله وقبيلته، فترى الجلساء في بيته مختلطين رجالاً ونساء..

فيسمح لزوجته أو بنته أو أخته بالجلوس سافرة مع الرجال؛ فهذا أخ الزوج، وهذا ابن العم، وابن الخال، وابن الجيران، وما شابه ذلك..

من مفاسد الاختلاط

مع ما في الاختلاط من مفاسد كثيرة منها: تبرج النساء في هذه المجالس، فيقع النظر المحرم من الرجال للنساء والعكس، ويقع بذلك فتنة عظيمة، فيرى الرجل أن زوجة فلان أجمل من زوجته، وترى الزوجة أن فلاناً وسيم ليس كزوجها ذميماً، فيقع التقاطع وسوءالعشرة.

ومنها إثارة الشهوات بالنظر المحرم، والضحك والمزاح؛ فيستساغ هذا العمل عند الرجل فتموت الغيرة، وعند المرأة فتفقد حياءها.

ومن أماكن الاختلاط المدارس والجامعات المختلطة؛ فلا يجوز لرجل بقي عنده ولو شيء يسير من الغيرة والشرف أن يسمح لمحارمه بالدراسة في هذه الأماكن، بأي حجة من حجج الشيطان.

ضعف الغيرة في غشيان الأماكن المزدحمة

عندما تضعف الغيرة يذهب الرجل بأهله من النساء إلى الأماكن المزدحمة، مثل: الأسواق، والحدائق، يزاحمن الرجال؛ فهذا يلتصق بها من أمامها وهذا من خلفها، وهذا عن يمينها، أو شمالها..

وأشد حماقة من هذا الرجل ذلك الذي يذهب بأهله إلى الأسواق المزدحمة فتنزل المرأة من السيارة إلى تلك الأسواق تزاحم الرجال وهو منتظر لها في السيارة الساعة والساعتين وكأن أمرها لا يعنيه.

ضعف الغيرة في عمل المحارم خارج المنزل

عندما تضعف الغيرة يسمح الرجل لزوجته أو إحدى محارمه بالعمل خارج المنزل في أماكن مختلطة، مفقود فيها الحياء والشرف، وموجود فيها الاختلاط والنظر المحرم، والخلوة في بعض الأحيان..

وهذا كله لا يهم ذلك الرجل الذي قد ضعفت غيرته، إنما المهم هو كم المعاش، وليس للشرف والعفاف عنده أي أهمية؛ فالمال عنده كل شيء، فلا مانع لديه من أن تعمل زوجته أو بنته ليلاً أو نهاراً، أو حتى تسافر دون محرم من قرية إلى قرية، ومن مدينة إلى مدينة، ويستمر سفرها عدة أيام، أو أشهر؛ والأمر عنده عادي وطبيعي، ما دام وراء ذلك فائدة مادية ممتازة.

ضعف الغيرة في باقتناء صور مشاهير الرجال

عندما تضعف الغيرة ترى الرجل يسمح لنسائه بالاحتفاظ بصور الممثلين والمغنيين والرياضيين وغيرهم؛ لأنها معجبة بهم والرجل لا يعارض ذلك؛ لأنه يرى أنها حرة، تحب من تريد، وتعجب بمن تريد؛ فهذا من خصوصياتها!..

ولا يعلم هذا الرجل الأحمق أن الرجل الغيور لا يرضى أن يتعلق أهله بالرجال الأجانب، كيف وهؤلاء الرجال فسقة منحرفين؟ فكيف يرضى بهذا من لديه شيء من الشهامة والشرف؟

ضعف الغيرة في السماح بمسايرة الأجنبي

عندما تموت الغيرة يسمح الرجل لزوجته، أو بنته، أو قريبته بمسايرة رجل أجنبي، فيراها تأتي وتذهب مع زميلها في الجامعة، أو الوظيفة على أقدامهما، أو بالسيارة، وهو لا يحرك ساكناً، بل قد

يشجعها، ويقول: اركبي مع فلان ابن الجيران؛ فمعه سيارة يوصلك على طريقه، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ضعف الغيرة في إهمال متابعة الأهل والمحارم

عندما تضعف الغيرة تجد رجلاً لا يدري عن أهله شيئاً، ولا يهتم بأمورهم، فهو لا يعلم من دخل بيته، ولا يعلم عن زوجته وبناته أي شيء، متى دخلن البيت، ومتى خرجن منه، ومع من يذهبن، ومع من يأتين؟

فهذا الرجل في غفلة عن أهله الذين سيُسأل عنهم يوم القيامة، مشغول بأمواله وأعماله، يوفر لهم المال، ولا يهتم بتربيتهم ولا بأخلاقهم..

وقد حصل بسبب هذا الإهمال قضايا كثيرة؛ فهذا أب يتلقى خبر وفاة بنته التي ذهبت في الصباح إلى الجامعة، والتي من المفترض أن تكون في الجامعة ولكن الخبر جاء بوفاة هذه البنت مع شاب غير معروف في حادث مروري خارج المدينة..

وما أكثر القصص التي تحكي أحوال آباء وأزواج غافلين عن أهلهم، لا يعلمون إلا بعد وقوع فضيحة كبيرة؛ عند ذلك يعلم هؤلاء أشباه الرجال بأنهم قصروا فيما كان يجب عليهم فعله، فيندمون حين لا ينفع الندم.

ضعف الغيرة في تعامل المحارم مع الأجانب دون ضرورة

عندما تضعف الغيرة فإن الرجل يكلف زوجته، أو بنته بشراء حاجات البيت دون ضرورة؛ فهو صحيح ولديه وقت فراغ، وإن كان مشغولاً فلديه أولاد كبار يذهبون إلى الأسواق بدلاً عنه، لكنه موت الغيرة..

بل يصل الأمر في بعض الرجال أن يلقي مسؤولية البيت كاملة على زوجته؛ فهي التي تذهب إلى السوق، وتشتري الطعام والشراب ولباسها ولباس الأطفال، بل وملابس زوجها، وهي من تستأجر البيت، وتتفاهم مع صاحب البيت، وتدفع الإيجار وتذهب لتسديد فاتورة الكهرباء والمياه..

وأصبحت هي الرجل تختلط بالرجال، وتحتك بهم، وزوجها يسلِّم لها ما تحصَّل عليه من مال، ثم يذهب ليأكل ويشرب، وينام وكأنه بهيمة، ليس عليه أي مسؤولية؛ فأي رجل هذا، وأي رجولة لديه؟".(11)

خاتمة

هذه بعض الثمار العلقمية لحلف الرذيلة وجناياتهم على مجتمعات المسلمين بل على البشرية جمعاء..

وإن مثل هذه الرذائل التي لم يسلم منها اليوم مجتمع من مجتمعات المسلمين ما بين مُقلّ ومكثر، فضلاً عن ديار الكفر في الشرق والغرب، لم تأت بين يوم وليلة وإنما جاءت على مر السنين والليالي والأيام، بمكر من حلف الرذيلة في الليل والنهار، وساعدهم في ذلك شياطين الجن وشياطين الإنس من الكفرة وإخوانهم من المنافقين والطواغيت المتحكمين في الإعلام والتعليم وأدوات التوجيه حتى تروَّض الناس وتلوثوا بهذه الرذائل الممنوعة شرعاً وعقلاً وفطرة.

وإن الخطورة من هذه الرذائل هو فرضها في حياة الناس حتى يألفوها ولا تستنكر، وتشرعن في حياة الناس ويجاهر بها، ويصدر حلف الرذيلة القوانين المرخصة لحانات الخمور ومواخير الزنا والربا.

ولو أن هذه الرذائل فعلت في السر والخفاء مع شعور فاعليها بالإثم والفحش واعتقاد حرمتها في النفوس لكان الأمر أهون..

الانتكاس وخطة المجرمين

استمراء القلوب وانتكاس الفطرة

والسؤال المحير والذي لا ينتهي العجب منه هو أن هذه الرذائل والفواحش سواء كانت رذيلة الكفر أو النفاق أو الخيانة أو رذائل الفحشاء والمنكر، مِن زنى وخمور ودياثة وهتك أعراض..

هل يشعر أصحابها من المقترفين لها والداعين لها بالإثم والقذارة وتأنيب القلب وأنهم يقودون أمتهم إلى الهاوية أو لا يشعرون؟

ولماذا التهالك منهم على إيقاع أكثر الناس فيها؟

والجواب والله أعلم أن يقال:

بما أن المعصية والفاحشة مكروهة طبعاً وفطرة وعقلاً؛ فضلاً عن حرمتها في الشرع فإن الفاعل لها أول مرة يشعر بالذنب والمقت لها وأنها فاحشة، ثم يخف هذا الشعور مع التكرار حتى لا يلبث أن يألفها ولا يشعر بعد ذلك بكونها فاحشة مستقذرة بل تتحول عنده مع ركام المعاصي والرذائل إلى شيء محبوب ويسخر من المستقذرين لها.

مثل هؤلاء لا ينفع في الغالب وعظهم لأن قلوبهم قد انتكست واستولى عليها ران المعاصي..

أسوتهم في المشركين قبلهم!..

وهكذا كان موقف أهل الشرك والفساد من أنبيائهم عندما وعظوهم بترك الشرك والإفساد في الأرض فهؤلاء قوم عاد قالوا لنبيهم هود عليه الصلاة والسلام : ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ (الشعراء:136-138)

وهؤلاء قوم لوط عليه الصلاة والسلام عندما أمرهم بالتوحيد وترك الشرك وترك فاحشة اللواط قالوا له: ﴿قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ (النمل:56).

وهؤلاء قوم شعيب عندما دعا قومه إلى التوحيد وترك البَخس في الموازين وعدم تطفيفها وعدم الإفساد في الأرض وقطع الطريق قالوا له: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ ۖ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ (هود:91).

وأمثال هؤلاء هم المعنيون في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم عن الفتن..

حيث يقول «تُعرض الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبين على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض والآخر أسود مربادا كالكوز مجخيا لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا إلا ما أشرب من هواه».(12)

وأصحاب الرذائل التي ألفوا القاذورات وكرهوا الفضائل والطيبات يودون دائماً أن لو كان الناس كلهم مثلهم أصحاب رذائل وفواحش ويحسدون أهل الفضائل على فضائلهم ويرمونهم بتهم الرجعية والتطرف وأهل الصحوة.

قال الله تعالى عن أشباههم ممن استمرأ الكفر والرذيلة ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ (البقرة:109).

إفساد المرأة والإسفاف الخلُقي

ومن أعظم جنايات حلف الرذيلة سعيهم لهدم كيان الأسرة بإفسادهم للمرأة وتحويلها من أم مكرمة وزوجة مصونة وبنتٍ خَفْرة حييّة إلى أن تكون سلعةً رخيصة وعرضاً مستباحاً لأهل الرذيلة والشهوات.

وأصبح التعرف على أهل الإرجاف من حلف الرذيلة من السهولة بمكان من خلال سماتهم السابقة ولاسيما فيما يتعلق بالمرأة وهجومهم على عفافها وحجابها وقرارها في بيتها؛ فإذا ذكر العفاف والحجاب رأيتهم يواجهون ذلك بالتحرر والتقدم.

فإذا منّ الله عز وجل على نساء من المسلمات بالتوبة والانعتاق من أسْر العفن الفني واعتزال دروب الفتنة حزنوا وامتلأت قلوبهم غيظاً وحقداً.

فإن كانت التائبة قد تخطت سن الشباب فهي بزعمهم تركت الساحة الفنية لأنها لم تعد مناسبة لها جمالاً وأناقة، وان كانت ما زالت في أوج شبابها وتألقها الفني فهي ـ بإرجافهم ـ تركت الفن بتمويل وإغراءات من جهات متطرفة رجعية!! فهم كالجعلان الذي لا يعيش إلا على النتن ويموت إن شم رائحة طيبة.

يقول الغزالي رحمه الله تعالى:

نحن نعلم أن بعض الناس يعيش أغلب أوقاته في شبكة "المجاري". ويبدو أن بعض الأدباء أَلِف الحياة في مجاري المجتمع ومساربه السفلى.

والمدهش أنه يريد جرّ الآخرين إلى مستواه الخُلقي، أو أنه يريد نقل روائحه المنتنة إلى ظاهر الحياة محاولاً طمس ما نبت فوقها من حدائق، وما فاح في جوها من عطور..

كذلك يصنع كتّاب الجنس في بلادنا، وفي أكثر أقطار الدنيا.(13)

العدوان على المرأة وأسرتها

كما أنقل هنا كلاماً نفيساً للشيخ بكر أبوزيد رحمه الله تعالى يكشف فيه دعوات حلف الرذيلة في إفساد المرأة المسلمة وأسرتها حيث يقول:

ومِن أشأم هذه المخاطر، وأشدّها نفوذاً في تمييع الأمة، وإغراقها في شهواتها، وانحلال أخلاقها، سعى دعاة الفتنة الذين تولوا عن حماية الفضائل الإسلامية في نسائهم ونساء المؤمنين، إلى مدارج الفتنة، وإشاعة الفاحشة ونشرها.

وعدلوا عن حفظ نقاء الأعراض وحراستها إلى زلزلتها عن مكانتها، وفتح أبواب الأطماع في اقتحامها..

كل هذا من خلال الدعوات الآثمة، والشعارات المضللة باسم حقوق المرأة، وحريتها، ومساواتها بالرجل.. وهكذا، من دعوات في قوائم يطول شرحها، تناولوها بعقول صغيرة، وأفكار مريضة.

يترجلون بالمناداة إليها في بلاد الإسلام، وفي المجتمعات المستقيمة لإسقاط الحجاب وخلعه، ونشر التبرج والسفور والعري والخلاعة والاختلاط، حتى يقول لسان حال المرأة المتبرجة: «هَيْتَ لكم أيها الإباحيون».(14)

مظاهر خطة المجرمين لإفساد الحياة الاجتماعية

وقال في موطن آخر:

وقد سلك أولئك الجناة لهذا خطة غضبية ضالة في مجالات الحياة كافة، بلسان الحال، أو بلسان المقال

ففي مجال الحياة العامة

1- الدعوة إلى خلع الحجاب عن الوجه ـ «الخمار» ـ والتخلص من الجلباب ـ «الملاءة»، ويقال: «العباءة».

وهذا بلسان الحال:

دعوة إلى خلع الحجاب عن جميع الجسد.

ودعوة إلى اللباس الفاتن بأنواعه: الفاتن في شكله، والتعري بلبس القصير، والضيق الواصف للأعضاء، والشفاف الذي يشف عن جسد المرأة.

ودعوة إلى التشبه بالرجال في اللباس.

ودعوة إلى التشبه بالنساء الكوافر في اللباس.

2- الدعوة إلى منابذة حجْب النساء في البيوت عن الأجانب بالاختلاط في مجالات الحياة كافة.

وفيه:

3- الدعوة إلى دمج المرأة في جميع مجالات تنمية الحياة.

وهذا دعوة إلى ظهور المرأة في الطرقات والأماكن العامة متبرجة سافرةً.

4- الدعوة إلى مشاركتها في الاجتماعات، واللجان، والمؤتمرات، والندوات، والاحتفالات، والنوادي.

وفي هذا دعوتها إلى الخضوع بالقول، والملاينة في الكلام، ودعوتها إلى مصافحة الرجل الأجنبي عنها.

ودعوة لها إلى خروجها من بيتها أمام الأجانب في حال تُثير الفتنة في اللباس، والمشية، وإعمال المساحيق، والتمضخ بالطيب، ولبس ما يجعلهن كَواعب، ولبس الكعب العالي، وهكذا من وسائل الإغراء والإثارة والفتنة.

5- الدعوة إلى فتح النوادي لهن، والأمسيات الشعرية، والدعوة للجميع.

6- الدعوة إلى فتح مقاهي الإنترنت النسائية والمختلطة.

7- الدعوة إلى قيادتها السيارة، والآلات الأخرى.

8- الدعوة إلى التساهل في المحارم، ومنها: الدعوة إلى سفر المرأة بلا محرم، ومنه سفرها غرباً وشرقاً لتعلم بلا محرم، وسفرها لمؤتمرات: رجالات الأعمال.

9- الدعوة إلى الخلوة بالأجنبية، ومنها: خلوة الخاطب بمخطوبته ولما يُعقد بينهما.

10- الدعوة إلى قيامها بالفنِّ، ومنه: الدعوة إلى قيامها بدورها في الفن، والغناء، والتمثيل.

وهذا ينتهي بالدعوة إلى مشاركتها في اختيار ملكة الجمال.

11- الدعوة إلى مشاركتها في صناعة الأزياء الغربية.

12- الدعوة إلى فتح أبواب الرياضة للمرأة، ومنه:

المطالبة بإنشاء فريق كرة قدم نسائي.

المطالبة بركوب النساء الخيل للسباق.

المطالبة برياضة النساء على الدراجات العادية والنارية.

13- فتح المسابح لهن في المراكز والنوادي وغيرها.

14- وفي شَعْر المرأة ضروب من الدعايات الآثمة، كالتنمص في الحاجبين، وقص شعر الرأس تشبهاً بالرجال، أو بالنساء الكافرات، وفتح بيوت «الكوافير» لهن.

وفي مجال الإعلام

15- تصوير المرأة في الصحف والمجلات.

16- خروجها في التلفاز مغنية، وممثلة، وعارضة أزياء، ومذيعة .. وهكذا.

17- عرض برامج مباشرة تعتمد على المكالمات الخاضعة بالقول بين النساء والرجال في الإذاعة والتلفاز.

18- ترويج المجلات الهابطة المشهورة بنشر الصور النسائية الفاتنة.

19- استخدام المرأة في الدعاية والإعلان.

20- الدعوة إلى الصداقة بين الجنسين عبر برامج في أجهزة الإعلام المسموعة والمرئية والمقروءة، وتبادل الهدايا بالأغاني وغيرها.

21- إشاعة صور القُبُلات والاحتضان بين الرجال وزوجاتهم على مستوى الزعماء والوزراء في وسائل الإعلام المتنوعة.

وفي مجال التعليم

22- الدعوة إلى التعليم المختلط في بعضها إلى الصفوف الدنيا منه.

23- الدعوة إلى تدريس النساء للرجال وعكسه.

24- الدعوة إلى إدخال الرياضة في مدارس البنات.

25- وهذا داعية إلى المطالبة بفتح: مدرسة الفنون الجميلة للنساء.

وفي مجال العمل والتوظيف

26- الدعوة إلى توظيف المرأة في مجالات الحياة كافة بلا استثناء كالرجال سواء.

27- ومنه الدعوة إلى عملها في: المتاجر، والفنادق، والطائرات، والوزارات، والغُرف التجارية، وغيرها كالشركات، والمؤسسات.

28- الدعوة إلى إنشاء مكاتب نسائية للسفر والسياحة، وفي الهندسة والتخطيط.

وهذا داعية إلى الدعوة إلى عمل المرأة في المهن الحرفية كالسباكة، والكهرباء وغيرها.

29- الدعوة إلى جعل المرأة مندوبة مبيعات.

والدعوة إلى إدخالها في نظام الجندية والشُّرط.

والدعوة إلى إدخالها في السياسة في المجالس النيابية، والانتخابات، والبرلمانات.

والدعوة إلى إيجاد مصانع للنساء.

30- الدعوة إلى توظيفهن في التوثيق الشرعي، وفتح أقسام نسائية في المحاكم.

وهكذا في سلسلة طويلة من المطالبات، التي تنتهي أيضاً بما لم يطالب به، نسأل الله سبحانه أن يبطل كيدهم، وأن يكف عن المسلمين شرَّهم، لا إله إلا هو».(15)

قصة من قلب أوروبا .. ودلالتها

وهذه شهادة أمرأة طبيبة المانية مَنَّ الله عليها بالإسلام تحكي سبب اسلامها وأنه ثمرة ما رأته من الفضيلة والعفاف في المرأة المسلمة وإلزامها بأحكام الشريعة المطهرة في الإسلام.

وأدركت عندها عظمة دين الإسلام وما فيه من الفضائل الجمّة التي يدعوا إليها حُماته وحملته كما أدركت عظم الجناية التي يقترفها حزب الرذيلة على أنفسهم وعلى البشرية جمعاء.

وأسوق قصة إسلام هذه الطبيبة الألمانية كما أوردها الشيخ أحمد الصويان رئيس تحرير مجلة البيان حفظه الله تعالى حيث قال:

«كنت في زيارة لأحد المراكز الإسلامية في ألمانيا فرأيت فتاة متحجبة حجاباً شرعياً ساتراً قلَّ أن يوجد مثله في ديار الغرب؛ فحمدتُ الله على ذلك..

فأشار عليَّ أحد الإخوة أن أسمع قصة إسلامها مباشرة من زوجها، فلما جلستُ مع زوجها قال:

زوجتي ألمانية أباً لجد، وهي طبيبة متخصصة في أمراض النساء والولادة، وكان لها عناية خاصة بالأمراض الجنسية التي تصيب النساء، فأجْرَت عدداً من الأبحاث على كثير من المريضات اللاتي كنَّ يأتين إلى عيادتها.

ثم أشار عليها أحد الأطباء المتخصصين أن تذهب إلى دولة أخرى لإتمام أبحاثها في بيئة مختلفة نسبياً فذهَبَتْ إلى النرويج، ومكثت فيها ثلاثة أشهر، فلم تجد شيئاً يختلف عمَّا رأته في ألمانيا، فقررت السفر للعمل لمدة سنة في السعودية..

تقول الطبيبة «فلما عزمتُ على ذلك أخذت أقرأ عن المنطقة وتاريخها وحضارتها، فشعرت بازدراء شديد للمرأة المسلمة، وعجبتُ منها كيف ترضى بذُلِ الحجاب وقيوده، وكيف تصبر وهي تُمتهَن كل هذا الامتهان..؟

ولمَّا وصلت إلى السعودية علمت أنني ملزمة بوضع عباءة سوداء على كتفي، فأحسست بضيق شديد وكأنني أضع إساراً من حديد يقيدني ويشلُّ من حريتي وكرامتي(!!)، ولكني آثرت الاحتمال رغبة في إتمام أبحاثي العلمية.

لبثت أعمل في العيادة أربعة أشهر متواصلة، ورأيت عدداً كبيراً من النسوة، ولكني لم أقف على مرض جنسي واحد على الإطلاق؛ فبدأت أشعر بالملل والقلق..

ثم مضت الأيام حتى أتممت الشهر السابع، وأنا على هذه الحالة، حتى خرجت ذات يوم من العيادة مغضَبة ومتوترة، فسألتني إحدى الممرضات المسلمات عن سبب ذلك، فأخبرتها الخبر، فابتسمت وتمتمت بكلام عربي لم أفهمه، فسألتها: ماذا تقولين؟! فقالت: إن ذلك ثمرة الفضيلة، وثمرة الالتزام بقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ﴾.(الأحزاب:35)

هزتني هذه الآية وعرّفتني بحقيقة غائبة عندي، وكانت تلك بداية الطريق للتعرف الصحيح على الإسلام..

فأخذت أقرأ القرآن العظيم والسنة النبوية، حتى شرح الله صدري للإسلام، وأيقنت أنَّ كرامة المرأة وشرفها إنما هو في حجابها وعفتها.. وأدركت أن أكثر ما كُتب في الغرب عن الحجاب والمرأة المسلمة إنما كتب بروح غربية مستعلية لم تعرف طعم الشرف والحياء«!..

الفضيلة قيمة

إن الفضيلة لا يعدلها شيء، ولا طريق لها إلا الالتزام الجاد بهَدي الكتاب والسنة، وما ضاعت الفضيلة إلا عندما استُخدمت المرأة ألعوبة بأيدي المستغربين وأباطرة الإعلام.

وإن أخشى ما نخشاه أن تؤول ديار المسلمين إلى ما آلت إليه بلاد الغرب، إذا ما اتبعنا أبواق العلمانيين والإباحيين، وتخلينا عن الفضيلة والعفة والأخلاق التي يضعها ديننا في صورة منهج كامل للحياة.

نُذُر الرذيلة

ومن النُّذُر الجديرة بالانتباه تقرير نشرته مؤخراً منظمة الصحة العالمية عن انتشار مرض نقص المناعة المكتسب «الإيدز» في المنطقة العربية، وكانت الإحصاءات المنشورة مذهلة جداً تنبئ عن واقع محزن مع الأسف الشديد!..

إنَّ هذا المرض ثمرة خبيثة من ثمار التفلت الأخلاقي والانحراف الجنسي..

ثمرة من ثمار الحرب الضروس التي تشنها بعض وسائل الإعلام على الأخلاق والآداب الإسلامية.

ثمرة من ثمار ذلك الطوفان الجارف من الأفلام الهابطة والمسلسلات الماجنة التي طغت على كثير من القنوات الإعلامية من المشرق إلى المغرب.

ثمرة من ثمار الدعوات المحمومة لدعاة الرذيلة والفساد التي تشد فتيان الأمة وفتياتها إلى مستنقعات الغرب الآسنة باسم التحرر والتحضر، وتزيّن لهم الوقوع في الفواحش بكل ألوان الزينة المخادعة!!..

وإن السلامة من ذلك المرض وأشباهه لا تكون إلا بالعودة الصادقة إلى حياض الفضيلة، وتربية الأمة على العفة والحياء، ومراقبة الله تعالى سراً وجهراً.

ألا فلتسكت تلك الأقلام الملوثة التي ما فتئت تشيع الفاحشة، وتنادي أبناءنا وبناتنا للوقوع في حمأة الرذيلة باسم الرقي والتقدم!..

ألا فلتسكت تلك الأصوات الكالحة العبوس التي تتشدق بالدعوة إلى نزع الحجاب والاختلاط باسم الحرية والتمدن!..

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾. (النور:19)

وأحسب أخيراً أن من أكبر التحديات التي تواجه الدعاة والمصلحين هي إيجاد البدائل التربوية والمحاضن الاجتماعية التي يتفيأ في ظلالها فتيان الأمة وفتياتها، بعيداً عن شرر دعاة العلمنة وعبثهم».(16)

خلاصة .. ورسائل

وأخيراً .. وبعد ما تقدم ذكره من الثمار اليانعة للفضيلة وشرف حُماتها وأثرهم الطيب في الأمة، وذكْر الثمار العلمية للرذيلة وخبث أهلها ودناءتهم وخيانتهم وجناياتهم الكارثية على الأمة.. أودّ في هذه الخاتمة توجيه الرسائل التالية:

الرسالة الأولى:

إلى حلف الرذيلة

نحمد الله عز وجل أن عافانا مما ابتلاهم به..

فلولا الله ما اهتدينا فنحمد الله عز وجل على عافية الهداية والفضيلة.

ونسأله سبحانه أن يزيدنا هدى وثباتاً وفضيلة، وأن يثبتنا على دينه وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا فقلوب العباد بين أصابع الرحمن.

وبقدر ما ننظر إلى أهل الرذيلة وحلفها بعين الشرع فنمقتهم بها ونتبرأ من رذائلهم وإفسادهم فإنا ننظر إليهم بعينٍ أخرى ألا وهي عين القدَر التي تجعلنا نشفق عليهم ونسأل الله عز وجل أن لا يجعلنا مثلهم وما هم عليه من أحوال رذيلة مآلها العذاب والشقاء في الدنيا والآخرة ونودّ أن لو اهتدوا قبل مباغتة الأجل.

وهنا ننصحهم بموعظة الله عز وجل للمفسدين قبلهم وذلك بقوله سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾. (سبأ:46)

نعم قوموا لله متجردين من الهوى ولْيفكر كل واحد مع نفسه أو مع صاحبه ﴿مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ﴾..

واسألوا أنفسكم ما هدفكم من نشر هذه الرذائل؟ هلّا نظرتم في مآلاتها الخطيرة على أنفسكم وعلى أمتكم..؟

هل تؤمنون بالله واليوم الآخر؟

إذا كنتم كذلك فهلا فكرتم في وقوفكم بين يدي الله عز وجل وأعددتم للحساب العسير جوابكم يوم تكون الأمة بأسرها هي خصمكم فرداً فرداً وأسرة أسرة؟

نسأل الله عز وجل لكم الهداية والتوبة قبل يوم الحسرة وعندها لا تنفع الحسرات.

ولا يغرنكم الشيطان ويوهمكم بأنكم في حربكم لأهل الفضيلة ستقضون عليهم وعلى الصحوة المباركة فهيهات هيهات أن تطفئوا نور الله بأفواهكم ويأبى الله إلا أن يتم نوره.

الرسالة الثانية:

إلى اخواننا حماة الفضيلة ودعاة الخير والإصلاح

هنيئاً لكم ما أنتم عليه من شرف وكرامة ونصحٍ للأمة، وأبشروا بنصر الله لكم وتأييده؛ فنحسبكم والله حسيبكم من أوليائه الناصرين لدينه وقد تكفل الله عز وجل بنصر من ينصر دينه ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

ولا يهولنكم الباطل وأهله وقوته؛ فهو كما وصفه الله عز وجل ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً﴾ ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾

وقد كتب الله عز وجل أن ما يقوم به أهل الباطل والرذيلة من فساد، وما يبذلونه في سبيل ذلك من أموال فيعود عليهم بالحسرة ثم يُغلبون؛ قال سبحانه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ وقال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ والله مولاكم، ولا مولى لهم.

واعلموا أن العاقبة للمتقين فأجْمِعوا أمركم في التصدي لفساد أهل الرذيلة بصف واحد متآلف متعاون كما يفعله أهل الرذيلة في تحالفهم وتآزرهم.

واحذروا الفرقة والخلاف فهما سبب الفشل والهزائم، وضاعِفوا جهودكم في التصدي لحلف الرذيلة، وأظهِروا عوارهم وافضحوهم وبيّنوا خطرهم وجناياتهم على دين الأمة وعقولها وأعراضها وأخلاقها وأموالها وبينوا خطر الفواحش والرذائل وحكم الإسلام فيها وأهلها.

الرسالة الثالثة:

إلى سواد الأمة وعامتها

إن حلف الرذيلة لا يستطيع أن ينفذ مخططه الإفسادي القذر لو وجد منكم رفضاً وامتناعاً وإدراكاً لما يجلبه من الفساد والإفساد للدين والعقول والأعراض والأموال وما يترتب على ذلك من الشقاء في الدنيا والآخرة؛ فكونوا سداً منيعاً أمام مخططاته وأغلقوا قلوبكم وبيوتكم أمامه.

وكونوا أعواناً وأنصاراً لحماة الفضيلة ودعاة الخير والإصلاح الذين يريدون بكم الخير في أديانكم وأعراضكم وأموالكم ويريدون لكم النجاة من عذاب الله عز وجل في الدنيا والآخرة ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ ﴿أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۖ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ۖ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

ويكفي أن تنظروا في أحوال حُماة الفضيلة وأخلاقهم وأثرهم الطيب على الأمة. وفي المقابل انظروا إلى أخلاق وأحوال حلف الرذيلة لتدركوا الفرق بين الطيب والخبيث والناصح لأمته من الخائن والغاش لها.

الاطلاع على أهل الخير

فهاهم حماة الفضيلة ودعاة الخير، أصحاب الأيدي المتوضئة والجباه الساجدة الراكعة لربها سبحانه، لا يتعاطون الخمور ولا المخدرات، يأبون الفواحش والزنا والربا، ويقفون في وجهها وأهلها.

هم الباذلون أموالهم وخدمتهم لمجتمعاتهم؛ للأرامل والأيتام والمساكين أفراداً ومؤسسات خيرية الذين يهبُّون لإغاثة الناس عند الكوارث والملمات.

هم المستسلمون لربهم في جميع شؤن الحياة ولم يقْصُروا الاسلام على جانب معين من حياتهم؛ حيث لا يرونه صلاة وتسابيحاً فحسب بل يعتقدون أن الدين شامل لجميع مناحي الحياة، وأن الحكم كله لله يوالون على ذلك ويعادون عليه.

الاطلاع على أهل الشر

وفي المقابل ها هم حلف الرذيلة؛ الخائنون لأمتهم، حزبُ الدعارة وعصابات المخدرات والمسكرات والعفن الفني، الناشرون للقاذورات الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في المؤمنين والآكلين والمؤكلين للربا.

إنهم المنافقون الذين يرفضون شرع الله، ويغيظهم الذين ينادون بالحكم بما أنزل الله، ولا يُعرف لهم سعي في نفع مجتمعاتهم وإغاثة محتاجهم بل إنهم في الأزمات والنوازل ينحازون إلى خندق الأعداء يوالونهم ويظاهرونهم على المسلمين؛ انهم وصمة عار على أنفسهم وعلى أمتهم.

فأي الفريقين أحق بالهدى والمحبة والولاء والنصرة وأيهما أحق بالبراءة والعداوة والمنابذة؟؟

حُكْم الله بين الفريقين

إن الله عز وجل قد حكم بين الفريقين في سورة التوبة وذلك في قوله تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾. (التوبة:67)

إلى قوله تعالى في نفس السورة: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. (التوبة:71)

نسأل الله سبحانه أن يجعلنا من أنصار دينه الذين ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (المائدة:54).

اللهم لا تحرمنا فضلك. والحمد لله رب العالمين

....

الهوامش

1- مسلم:1523
2- حراسة الفضيلة صـ 10 ، 11
3- تفسير ابن جرير الطبري 214/8- 215
4- في ظلال القرآن 631/2- 635 باختصار
5- في ظلال القرآن 511/1 باختصار.
6- في ظلال القرآن 632/2 باختصار.
7- البخاري (1995) – مسلم (827).
8- البخاري (5233) – مسلم (1341).
9- البخاري (5233)، مسلم (1341).
10- الترمذي (1171) وصححه الألباني في صحيح الترمذي.
11- انظر المقال في مجلة البيان العددرقم 213 (عندما تموت الغيرة).
12- مسلم (144).
13- حصاد الغرور (104).
14- حراسة الفضيلة صـ 11.
15- حراسة الفضيلة ص 91-99.
16- مجلة البيان العدد (161).